

سكان احوار العراق دراسة تاريخية . ديموغرافية

د. عماد مطير خليف - كلية التربية - ميسان / جامعة البصرة
د. مكي عبد مجيد / كلية القانون / جامعة كربلاء

المقدمة

لقد كان الموقع الجغرافي للعراق بموارده الطبيعية الوفيرة ومجاورته لمنطقتين فيهما موارد العيش شحيحة (من الجهة الشماليه الشرقية الهضبة الايرانية وسلاسل الجبال . ومن الجهة الجنوبية جزيرة العرب) .
لقد كان موقعه هذا سببا في جعله منطقة استقطاب للمهاجرين وللغزاة على حد سواء . وعلى مر التاريخ شهد العراق وفود اقوام واجناس مختلفة انتشرت في ارجاءه الواسعة غير ان منطقة جنوب العراق كانت الاكثر جذبا لغناها ووفرة خيراتها وخصوبة تربتها وغازرة مياهها فنشأت في هذا الجزء من العراق حضارات عظيمة استفادت من الموروث الحضاري والخبرات الزراعية والصناعية المترامية لاهل جنوب العراق . فمن جزيرة العرب نزحت موجات متعاقبة من الاكدين والسومريين والاموريين ومن اعالي السهل الرسوبي نزح الاشوريين كما نزح العلامين والماديون من الشرق وتخللت تلك الفترة هجرات اليونانيون والفرثيون ثم الموجات العربية ابان الفتح العربي (١)

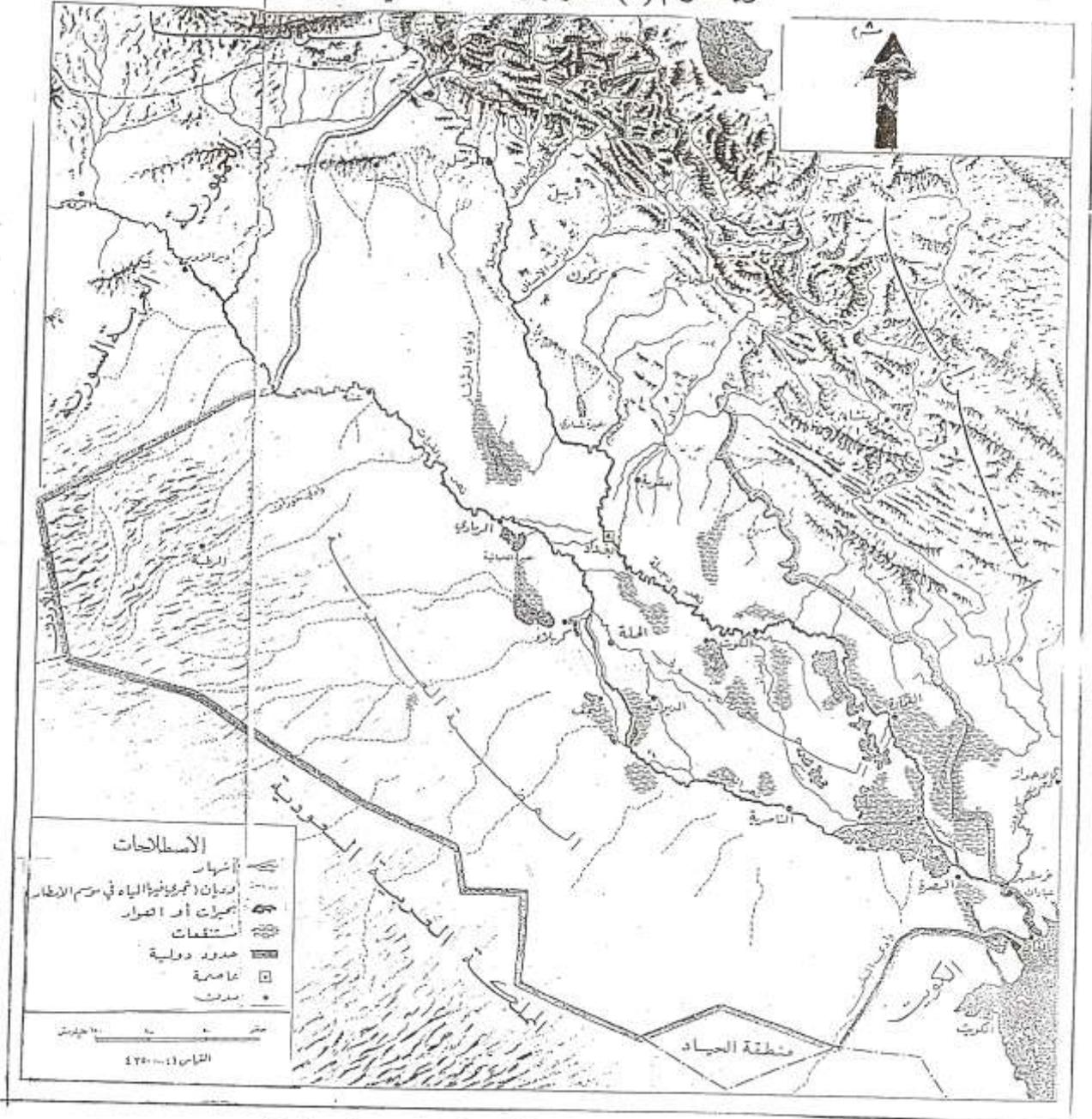
وهكذا فان سكان الاحوار هم نتاج خليط بشري تجانس عبر التاريخ منصهرا في بوتقة واحده دينها الاسلام وثقافتها العروبية فكل المهاجرين وخلال الفترة الطويله لهجرة الاباء والاجداد انخرطوا مع النسيج الاجتماعي للسكان مشكلين مجتمعا كون لنفسه شخصية مميزة متفاعلة مع بيئتها ومحيطها الحضاري . والاحوار او كما يسميها العرب البطائح (١٢) تعني المستنقعات او البحيرات الساحلية وهي مسطحات مائية واسعة ويسمى الجزء الضحل منها والمغطى بالبردي بالاجام (٣)

وقد ذكرها الجغرافيون العرب في كتاباتهم ومؤلفاتهم كما مروا بها في رحلاتهم . كابي الفداء والقزويني وابن الفوطي وابن بطوطة (٤) واهوار العراق هي اوسع احوار العالم مساحة حيث تقدر ب (٢٠٠٠٠) كم^٢ يضمها المستنقعات الواقعة شمال السهل الرسوبي (٥) اما الاحوار الجنوبية فتبلغ مساحتها عشرة الاف كلم^٢ وتنقسم احوار جنوب العراق الى قسمين:

١_ الاحوار الغربية ويمثلها هور الحمار الذي يمتد من ن كرمه علي شمال البصرة وحتى سوق الشيوخ والبو صالح والشطرة ومساحة هذا الهور (٥٢٠٠) كم^٢
٢_ الاحوار الشرقية ويمثلها هور الحويزه الذي يمتد شرق دجلة ابتداء من ناحية السويب في قضاء القرنة ويمتد حتى ناحية العزيز في محافظة ميسان مارا بقرى كثيرة كالببيضة والسودة والتراية وهو هور مشترك بين العراق وايران ويتميز بقلة سكانه

وتستمد الاحوار مياهها من دجلة والفرات ومن نهر الكرخه الذي ينحدر من المرتفعات الايرانية (٠) وتمتد احوار جنوب العراق بين خطي طول ٣٠ درجة شرقا و٣٧ درجة شرقا وبين دائرتي عرض ٣٠ و٣٢ شمالا (خريطة رقم ١) . ويهدف بحثنا هذا الى التعرف على اصل سكان الاحوار ومراحل تطورهم . كما يهدف الى دراسة وتحليل تركيبهم القبلي والديني والاقتصادي ويحاول التعرف على التأثيرات التي قد تحدثها الهجرة على نموهم وعلى نشاطهم الاقتصادي

خريطة رقم (١) الاهوار والمستنقعات في العراق



المصدر :- الأطلس وزارة التربية الأطلس العراقي بغداد ١٩٧٥

الاصول التاريخية لسكان الاهوار

لقد دلت الحفريات على ان اهوار جنوب العراق والحافات اليابسة المحيطة بها شهدت اقدم عميلة استيطان في المنطقة وكان ذلك في حدود اربعة الاف عام قبل الميلاد ومن الاقوام التي استوطنت الاهوار في تلك الفترة السومريين والماديين والعرب والزنج والزط. والسيابجه بالاضافة لاقوام وقبائل واقليات عديده . ويمكن تتبع استيطان هذه الاقوام من خلال المراحل التاريخية التالية :

١- الاستيطان القديم

ويتمثل في الفترة التي اعتقت انحسار مياه الخليج العربي من مناطق جنوب العراق وتكون منطقة الاهوار حيث استوطنها السومريون والماديون وتبعتهم اقوام اخرى

أ- السومريين:

لعل واحده من اهم الراء التي تعالج اصل سكان الاهوار هي تلك التي وردت في النصوص السومرية القديمة حيث ورد في احد الاساطير السومرية القديمة اسطورة الاله الشعير اشنان والنعجه (ان) القسم الجنوبي من العراق ويعد ظهوره تم سكناه من قبل المهاجرين الذين قدموا اليه من الاقسام الشمالية والمناطق المحيطة بمنطقة سامراء الحالية وسكنوا في يادي الامر على شكل جماعات صغيرة وكل مجموعة يعد ان كبير حجمها في الجنوب تحول موقع سكناها الى قرية ثم الى مدينة واخيرا الى دويلة مدينة حيث تورد المعلومات التاريخية ان سكنى السومريين في اواخر الالف الخامس قبل الميلاد قد تمت بالاسلوب الذي شرحناه لان نظام الحكم الذي انتشر فيه وعرفتنا به النصوص المسمارية هو نظام دويلات المدن ومن الحقائق التاريخية الخاصة بتاريخ بلاد الرافدين القديم والتي اشار اليها معظم المتخصصين بالتاريخ المذكور. هو ان عدد سكان المناطق الشمالية والشمالية الشرقية التي كانت ذات امطار موسمية كافية لنمو المحاصيل الزراعية قد تزايد بشكل خلق ازمة اجتماعية لايمكن حلها الا بهجرة الاعداد الفائضة عن الحاجة وبالفعل فان اعمال الحفر والتنقيب عن الاثار التي اجريت في المناطق المتذبذبة المطر و القريبة من مدينة سامراء الحالية قد او ضحت بان تلك الاعداد الفائضة لم تجد مكانا تذهب اليه في حدود الالف السادس قبل الميلاد سوى المناطق الجنوبية من وسط العراق على الرغم من ان امطار هذه المناطق تكون كافية لنمو الزرع في سنه وتشح وتصبح غير كافية للمحاصيل الزراعية لسنوات اخرى والسبب المباشر الذي دفع تلك الاعداد الفائضة لاختيار المناطق المشار اليها خلال الالف المذكور هو عدم وجود اية منطقة اخرى قابلة لسكن الانسان عدا المناطق المذكورة ذلك ان القسم الجنوبي من العراق كان لايزال مغمورا بمياه الخليج ولهذا السبب فان الانسان في بلاد الرافدين لم يهاجر بشكل مباشر من الاقسام الشمالية الى الاقسام الجنوبية بل استقره مايقارب الالف عام في سامراء والمناطق المجاورة لها (٦) وهذه الحقيقة قد اضعفت مكانه الاله انليل اله الهواء من حيث جعله خالقا للانسان لانه كان عاجزا . عن منح المناطق المشار لها بالامطار الضرورية لنمو المحاصيل الزراعية لذلك عاش سكان المناطق المشار لها حياة قاسية حتى اعتقد بعض الباحثين انهم قد مارسوا عملية واد البنات من اجل تحديد عدد السكان وعدم السماح له بالازدياد بالاسلوب الطبيعي (٧)

وعندما بدأت الهجرة الى الجنوب كانت هذه المناطق لاتزال غير كافية الامطار لنمو الزرع لكنها كانت صالحة للزراعة المعتمده على الري فضلا عن ان خصوبة تربتها كانت عالية جدا مما تسبب ذلك في ابعاد مكانه الاله (انليل) اله الهواء واحلال اله الماء والارض (اينكي) مكانه في الجنوب ولهذا السبب بالذات فقد جعل سكان الجنوب الاله اينكي اله الماء والارض هو الخالق للانسان بدل اله الهواء الاله اينليل وهذه الناحية الخاصة بابدال الاله الخالق للانسان لم تقرض وجودها بسهولة لان الانسان بشكل عام لا يغير معتقده بسهولة فضلا عن ان سكان شمال العراق الذين ياتون باستمرار الى الجنوب يحملون معهم عبادة الهواء و قدسيته مما يمنح ذلك دعما مستمرا لعبادة الاله المذكوره واما سكان الجنوب الذين تحسنت احوالهم المعيشية والاقتصادية لا يستطيعون نكران فضل الاله الماء اينكي . على تحسين احوالهم المعيشية وبالفعل فان ملاحم خلق الكون والانسان والبحث عن الخلود قد قدمت مدرستين فكريتين عرفت الاولى منها ضمن المصادر المسمارية بمدرسة نفر التي تعتمد افكارها على اهمية الاله الهواء انليل والثانية عرفتها نفس المصادر بمدرسة اريدو التي اخذت تدعو الى نبد عبادة اله الهواء والدعوه بحماس شديد الى عبادة الاله اينكي اله الماء والارض لما له من دور كبير على حياة القسم الجنوبي من العراق .

وتشير المعلومات التاريخية التي تم الحصول عليها من نتائج الحفريات التي تمت في المنطقه الجنوبية من العراق بان الملوحة في هذه المنطقة قد اخذت تتزايد تدريجيا وهذه الزيادة في الملوحة وقد اثرت على انتاج الحبوب وبالاخص انتاج الحنطة حيث اكدت النصوص السماوية ان تربة القسم الجنوبي من العراق كانت خالية من الملوحة خلال منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد لذلك كانت زراعة الحنطة خلال ذلك التاريخ مساوية لزراعة الشعير ولكن النصوص الاقتصادية التي جاتتنا من زمن الملك انتمينيا ٢٤٣٠-٢٤٠٠ ق م الملك الثامن من ملوك سلالة لكش الاولى قد اكدت ان كمية الحنطة المزروعة قد تقلصت كثيرا واصبحت تساوي سدس محصول الحبوب في جنوب العراق . وقد ساهمت استمرار ازدياد ملوحة التربة الى تركيز الانتاج الزراعي بعد عام ٢٤٠٠ ق م عن زراعة الشعير لقدرته على تحمل الملوحة . وبسبب هذا التناقص المستمر في انتاجيته بدا بالانخفاض التدريجي بسبب ارتفاع الملوحة وبسبب هذا التناقص المستمر في خصوبة التربة ومعدل انتاج الشعير فقد تزعزعت مراكز السلطة السياسية في القسم الجنوبي من العراق بحيث انها اظطرت الى النزوح شمالا باتجاه بابل وبناء على ماتقدم فان القسم الجنوبي في العراق القديم كاد ان يهجره سكانه بسبب تناقص معدل

انتاج الشعير المستمر • الا ان الاجراء الذي انقذ الجنوب من محنته واعاد له الحياة هو قيام سكانه منذ اواخر القرن الثامن قبل الميلاد بزراعة الرز الذي انتشرت زراعته في جنوب العراق بصورة واسعة خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد (٩) والرز يلفظ بالغة السومرية (شي، لي، اب) وكلمة شي تعني (شعير) ولي تعني المشتول واب تعني الماء ويكون معنى الاسم سومريا الشعير المشتول بالماء هذا وان انحسار زراعة الشعير واتساع زراعة الشلب في القسم الجنوبي من العراق دفع السكان الى ان يعملوا حتى الخبز من الرز ايضا وخير شاهد بخصوص الموضوع هو الطابك او السياح حيث كل واحد منهما يشبه الخبز ومعمول لغرض ان يكون بديلا عن الخبز ولكنه مصنوع من مادة الشلب (١٠)

ب- الماديين

والماديين هم اقوام سكنوا شرق ايران وينتمون لحضارة (ماد) التي لها ارتباط بالشعب الميدي الكردي وقد استوطنوا الهضبة الواقعة غرب ايران وشرق دجلة المسماة عيلام (ايلام) وتشمل لورستان وجبالها وهي موطن الاحرار القبلية وهي البلاد المجاورة لاهوار وسط وجنوب العراق •

ويشير كثير من الباحثين الى ان غنى جنوب العراق بالاعشاب والاحراش والقصب والبردي جعل تلك المنطقة مزار اهتمام الرعاة الكرد ليتنقلوا اليها من الجبال لرعي مواشيههم والحصول على ارض زراعية اضافية • ويستدل هؤلاء الباحثين على صحة رايهم هذا ببعض النصوص المسمارية التي وردت في ملحمة كلكامش وان مثال انكيديو دليل على هبوط اكراد ايلام الى البراري المحاذية لجبالهم من اجل رعي مواشيههم طلبا للكلاب وما انهم ضخام الاجسام • اقوياء البنية كانوا مزار فزع الصيادين الذين يصيدون الاسماك والطيور • مثلما جاء في ملحمة كلكامش في حديث الصياد الذي راى انكيديو الراعي الهابط من الجبال الى اورك • فذهب ليخبر اياه بما راى قال (يا ابتي راءيت رجلا عجيبا قد انحدر من المرتفعات انه اقوى من في البلاد وذو باس شديد (١١)) ومن قول الصياد انحدر من المرتفعات يدل على انها المرتفعات المحاذية لاوروك ولا توجد جبال محاذية لاوروك غير جبال ايلام موطن الكرد الفيلية كما يورد المؤيدون لهذا الراي ان هناك علاقة بين اسم الهور والكلمة الكردية هور فهي من الجذر هور ومنه اله الخير او اله النور في الديانة الزراديشية

وفي الكردية الحديثة ما زلت كلمة هور تعني غيم ويجمعها مع المياة صفة مشتركة فالغيوم مياة والهور مياة حيث ربط بينهما الانسان الكردي حيث تبدو الاهوار من الجبال المرتفعة مثل الغيوم كما يرجع بعض المؤيدون لهذا الراي كلمة معدان التي تطلق على بعض سكان الاهوار الى الجذر الكردي ماد • نسبة الى اقوام (ماد) علما ان (ان) هي احدى لواحق جمع الكردية مثل (لاو) وتعني شاب وجمعها (لاوان) شباب فتكون مادان اسم جمع للقوم الذين ينتسبون لشعب (ماد) وتغير مادان الى معدان الشبية بتغير ايلام الى عيلام وصارت هذه الفظة تطلق على بعض سكان الاهوار الحاليين (١٢) • كما يستدل المؤيدون لهذا الراي ببعض الخواص الجسمانية كضخامة الجثة والعيون الملونة والسحنة البيضاء الموجودة عند بعض المعدان و خاصة عند النساء منهم حتى ان (حسن المعدان) بكسر الحاء والسين اصبحت مثلا شعيبا يضرب في عموم العراق لوصف الشخص ذو الوجه الجميل

١- الاستيطان بعد الفتح الاسلامي :

لقد سبقت هجرات القبائل العربية من الجزيرة العربية الى جنوب العراق الفتح الاسلامي بوقت ليس بقصير • حيث استقروا في منطقة الحيرة والمناطق المحاذية للاهوار حيث استوطنت قبائل عربية متعددة هذه الاجراء مثل بكر وشيبان وعجل وتميم وعامر وايد(١٣) • حيث كشفت بعض الاشارات التاريخية وجود هجرات عربية نحو العراق عام ٥٢٠ق م حيث نزح الازد الى العراق من اليمن عند انهيار سد مارب

لقد انقسم العرب النازحين الى العراق الى قسمين حيث سكن الحضر المدن واسسوا دويلات مثل الحيرة وسكن البعض الاخر المناطق المغمورة بالماء وكانت اراضي البطائح اخصب اراضي المناطق الجنوبية من العراق وبما ان الجيوش الاسلامية التي فتحت العراق كانت بحاجة ماسة للمؤن من طعام للجند و علف للخيل والابل • لذا عمد العرب على زراعة هذه المناطق ونظموا السدود والبيوزول • وقد وفد الكثيرون من ابناء القبائل واستقروا في البطائح وتعايشوا مع سكانها الاصليين الذين هم من جذور مختلفة تبعا للاقوام التي سكنت اقصى جنوب السهل الرسوبي • لكن الغلبة كانت للقبائل العربية حيث ان كثرتهم ادت الى ذوبان جميع تلك الاقوام في بوتقة الحضارة العربية والتخلق بالخلق الاسلامي الذي نقله العرب بكل امانة من جزيرتهم الى سكان الاهوار • لقد تكيف سكان الاهوار العرب مع بيئتهم الجديدة في فترة زمنية قصيرة نسبيا فعلى سبيل المثال فان عشائر البو محمد والسواعد التي تعد اليوم من اكبر العشائر العربية المنتشرة في اهوار دجلة هي عشائر انحدرت من غرب العراق وتوطنت في تلك الاهوار في العهود العباسية وتكيفت مع طبيعة تلك الاهوار (١٤) وقد صاحبها في عملية الاستيلاء على البطائح بعد الفتح الاسلامي اقوام عديدة اخى مثل الزنط والادغار والسيابجية خاصة الذين نقلهم محمد بن القاسم الثقفي الى البصرة زمن ولاية الحجاج من المناطق الشرقية التي تم فتحها (١٥) • كما لجاء اليها الكثير من الزنج بعد ان تم القضاء على ثورتهم حيث استعصموا فيها كونها عصية على السلطات ولهذا فقد كانت ملاذا للاقوام الفاره من ظلم السلطات في العهود المتعاقبة الاموية والعباسية والعثمانية وهناك امثلة كثيرة حفصتها لنا المصادر التاريخية مثل ثورة عمران ابن شاهين في البطائح والذي اصبح عصيا على الدولة العباسية (١٦) فيما احتوى بنو اسد بعد ان قوضت مدينتهم الحلة المزبدية من قبل الناصر لدين الله العباسي وتكونت في قلبها دولة المشعشعيين قبل ان تنتقل الى جنوب السهل الرسوبي حيث دافعت عن هذه الدولة قبائل الاهوار من البو شاقفة وبنو اسد (١٧) • حيث قام

المعدان من سكان الاهوار يبيع ممتلكاتهم من الجاموس والماشية لشراء السلاح لجيش محمد بن فلاح المشعشع مؤسس الدولة سنة ٨٤٤ هـ - ١٤٤٠ م (١٨)

٢- الاستيطان الحديث

استمرت تيارات المهاجرين بالتوافد على معظم مناطق اهوار العراق طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبدايات القرن العشرين بوتيرة بطيئة نتيجة للظروف الصعبة التي واجهها سكان الاهوار خلال هذه الفترة وقد اطلق الباحثين على سكان الاهوار تسميات عديدة منها عرب الاهوار او المعدان او سكان الاهوار ولعل تسمية المعدان هي الغالبة ويرجع البعض اصل هذه التسمية الى كون الاهوار ملجا وملادا امنا للكثير من المضطهدين والمعارضين والمعادين للسلطات المتتالية التي حكمت العراق. و(المعادين) مفرداها (معادي) تحولت فيما بعد الى معيدي وقد ورد ذكر المعدان في كتاب الرحالة ابن بطوطة حيث وصفهم بانهم عبارة عن قبائل صغيرة منتشرة في انحاء الكوفة والاطراف المجاورة لها ممن في طريق واسط والكوفة وجمع ابن بطوطة كلمة المعيدي وسماهه بالمعادي (١٩) وبعملية التجانس بين السكان من خلال المصاهرة والدين واللغة اصبح من الصعب تصنيفهم الى بدو ومعدان لان كثير من القبائل العربية اتخذت من الاهوار ملجا لها ورعت الجاموس أي انها انقطعت عن حالة البدو كما ان سكان الاهوار ليس كلهم معدان حيث ان من المهم ان نفرق عنصريا ما بين سكان الاهوار كالمعدان والبدو محمد من عشائر اهوار دجلة من جهة وبين سكان الاهوار الغربية (٢٠) لقد شهد القرنين الثامن عشر والتاسع عشر هجرة كثير من القبائل العربية وغير العربية الى منطقة الاهوار حيث لجأت جماعات وعشائر من ايران والجزيرة العربية لقد هاجرت قبائل تميم واستوطنت مناطق البادية الغربية للبصرة الملاصقة للاهوار الغربية كما شهدت هذه الفترة ظهور تحالفات قوية بين قبائل المعدان وعشائر عربية كان الغرض من هذه التحالفات حصول المعدان على الحماية وقد اصطلح على هذه التحالفات اسم (الكتبة) كما شهدت بدايات القرن العشرين استقرار العديد من القبائل والعشائر العربية القادمة من الجزيرة العربية في الاهوار حيث استوطنتها قبائل الفرس وعكيل وخفاجة والخزاعل والجبور حيث ادى ذلك الى زيادة اعداد السكان في الاهوار من حوالي ٧٢٠٠٠ عام ١٩١٠ الى حوالي ٢٥٠٠٠٠ عام ١٩٦٣

نمو سكان الاهوار

يخضع النمو السكاني لعاملين رئيسيين هما الزيادة الطبيعية Naturalin crease والهجرة Migration. ولما كانت الزيادة الطبيعية متأتية من الفرق بين المواليد والوفيات فان الزيادة الناتجة عن هذا الفارق عند سكان الاهوار حافظت على معدلاتها المتدنية طيلة القرون الماضية ويرجع السبب وراء ذلك الى ارتفاع كلا من معدلات المواليد والوفيات على حد سواء -مما جعل حالها حال الكثير من مناطق العالم المشابهة من حيث الخواص المناخية والتضاريسية حيث يعيش سكانها في مرحلة النمو الابتدائي للسكان وهي مرحلة التي يكون فيها النمو متذبذبا بين الزيادة والنقصان. تبعا للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية. الامر الذي أدى الى محافظة سكان الاهوار على أعدادهم القليلة دون زيادة كبيرة تذكر. فقد أصيبت منطقة الاهوار بالاوبئة الفتاكة خلال مراحل زمنية مختلفة خاصة الاوبئة التي تتكاثر بالماء. الامر الذي اقلدها اعداد كبيرة من سكانها موتا من جراء الامراض او هجرتا هربا منها والأمثلة التاريخية كثيرة. ولعل ما حدث نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين يعبر عن جزء من مأساة سكان الهور. عندما اكتسحتها أمراض الملا ريا والكوليرا والجذري وأدت الى وفاة كثير من السكان ولعل تسمية السكان لأبنائهم بأسماء الحيوانات وأسماء الحوادث وغيرها من الأسماء غير المألوفة دليلا على مأساتهم مع الأمراض. كل تلك الظروف جعلت الزيادة السكانية المتحققة تتأني مع الهجرة الوافدة والتي كانت متذبذبة من فترة زمنية لأخرى حيث كثيرا ما ارتفعت اعداد السكان وزادت معدلاتهم نموهم. كما حصل في القرن التاسع الميلادي عندما ساهمت موجات اللاجئين الهاربين من مذابح المغول في بغداد إليها (حيث نرح لها ما يقارب ال ١٠٠ الف نسمة) في رفع عدد سكان الاهوار الى ١٣٠ ألف واستمرت اعداد السكان بين مد الزيادة وجزر الانخفاض حتى النصف الثاني من القرن العشرين عندما بدأت اعداد السكان بالتزايد المضطرد ليصل عددهم الى ٤٢٠ الف نسمة عام ١٩٩٠ غير ان الاهوار عادت مرة أخرى وأصبحت بيئة طاردة للسكان عندما تعرضت الى كارثة أخرى تمثلت بتحولها الى ميدان كبير للعمليات الحربية بسبب قربها من جبهات القتال في الحروب التي حدثت في العراق خلال العقود الثلاثة الماضية. ولعل اشد الكوارث التي تعرضت لها الاهوار كانت قيام الحكومة العراقية السابقة بارتكاب حماقة تجفيف الاهوار وإجبار السكان على الفرار حيث تحولت المسطحات المائية الأغنى في العالم الى ارض جرداء فقد نرح اكثر من ١٠٠ الف نسمة(منهم ٤٠ الف من اهوار الناصرية فقط) قسرا من ديارهم عام ١٩٩١. وعلى الرغم من التغييرات التي شهدتها العراق بعد ٢٠٠٣/٤/٩ الا ان العشرات من عوائل الاهوار المهجرة من محافظات ميسان وذي قار والبصرة لازالت تسكن الأطراف الفقيرة من مدن الناصرية والعمارة والنجف وكربلاء. ومن هؤلاء سكان هور (الجفر) الذي يعد اكبر الاهوار في محافظة ذي قار والذين شيدوا لهم بيوتا من الطين في أطراف حي الشموخ في الناصرية كما ان عوائل أخرى اكتفت ببناء سقائف من القصب مسكنا لها وجلهم ظل يمارس ذات الأعمال التي كان يمارسها في الهور كصناعة فرش القصب والحصائر وشباك الصيد. ان معدلات نمو سكان الاهوار شهدت ارتفاعا ملحوظا خلال النصف الثاني من القرن العشرين خاصة في عقود الستينات والسبعينات نتيجة لتوقف تزييف

الهجرة المغادرة وكذلك انخفاض معدلات الوفيات خاصة وفيات الأطفال حيث بدأت الحكومات العراقية المتعاقبة بإنشاء - المراكز الإدارية وفتح المستوصفات الطبية الثابتة والمستوصفات المتحركة في زوارق. وقد رافق هذا الانخفاض في معدلات الوفيات بقاء معدلات الولادات على حالها المرتفع. إذا كان سكان الاهوار ونتيجة الارتفاع معدلات الوفيات في العصور السابقة يزيدون من الإنجاب كمحاولة منهم لمقاومة الأمراض والأوبئة من خلال زيادة الإنجاب للحصول على أكبر قدر ممكن من الأطفال الباقيين على قيد الحياة. واستمر السكان على حالتهم هذه من الإنجاب العالي على الرغم من زوال موجبات ذلك. الأمر الذي أدى إلى زيادة معدلات النمو بشكل مضطرد

الهجرة

تعرف الهجرة حسب تعريف الدائرة السكانية في منظمة الأمم المتحدة بأنها انتقال السكان من منطقة جغرافية إلى منطقة أخرى وتكون مصحوبة بتغيير محل السكن الدائم ولو لفترة محددة. وهو أمر بتطبيق على السكان المستقرين الذين لهم محلات اقامه ثابتة. وعند قراءة السيرة الذاتية للهور نرى ان التاريخ يكاد يتكرر فيه بين الفينه والأخرى حيث يتعرض المكان إلى اضطهاد منظم بسبب الانتماء البيئي قبل أي انتماء حضاري آخر فتكون نتيجة ذلك الاف العوائل المهاجرة. كما كان الهور عبر التاريخ ملاذا للمظلومين والتأثرين والمطلوبين (كذلك) حيث كانت الدويلات القوية تنظر للبطائح كما مكنة للمقاومة والتحدي فكان لها في كل عصر مواجهه. لقد مارس سكان الاهوار جميع انواع الهجرة فقد عبروا اكثر من مرة الحدود الدولية مهاجرين دوليون عندما هاجر اكثر من (٢٠) الف شخص من سكان الاهوار إلى ايران إبان الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١ كما انهم هاجروا إلى مناطق العراق المختلفة بعد جريمة تجفيف الاهوار عام ١٩٩٢ حيث استقر مايقارب ال (٤٠) الف منهم في اطراف المدن خاصة الناصرية والعمارة وكربلاء والنجف والديوانية. كما ان هجرتهم كانت قسرية او اضطرارية في اغلب الاحيان او انها ذاتية في احيان أخرى. ومارسوا الهجرات القصيرة عندما انتقلوا إلى المناطق والقصبات المحيطة بالاهوار كمدن سوق الشيوخ والبصرة والقرنة وابتعدوا في الهجرات طويلة إلى بغداد وسامراء وبلد واطراف بغداد الجنوبية كما ان جزءا هاما من المهاجرين استقر بهم المقام في المناطق التي هاجروا إليها كبغداد والحلة وقطعوا الاواصر مع بيئتهم الام مهاجرين دائمين بينما فضل الجزء الاخر من المهاجرين العودة إلى مناطقهم الاصلية في الهور حيث كانت هجرتهم مؤقتة ولعل ابرز الهجرات التي مارسها سكان الاهوار هي هجراتهم إلى المدن والقصبات حيث كانوا على اتصال مع سكان هذه القصبات والمدن خاصة وانهم كانوا يسوقون منتوجاتهم الحيوانية وصيدهم من الاسماك والطيور إلى اسواق المدن لسد حاجتهم من الماكل والملبس والاحتياجات الانسانية المختلفة حيث لمس سكان الهور نعومة العيش في المدن الامر الذي دفعهم إلى الهجرة وترك العيش الشظف سيما وان الدولة قد فتحت مؤسستي الجيش والشرطة حيث كان الانضمام لاحدهما يعد اثمن فرصة من فرص الحياة اذا ماقرنت بالحياة البرمائية التي يحياها ساكنو الهور كما اغرت فرص العمل الموجوده في المدن سكان الهور للانتقال إلى المدن للعمل كحراس ليليين او كعمال اجراء او الخدمة بانواعها وقد ساهمت قساوة وابتزاز الشيوخ والسراكيل للفلاحين من جهة وكساد الزراعة وهبوط اسعار المنتجات الزراعية من جهة اخرى خاصة خلال الثلاث عقود الاولى من القرن العشرين دفعت تلك الظروف السكان إلى الهجرة إلى المدن. حيث بلغت هذه الهجرة ذروتها بين عامي ١٩٢٨-١٩٣١ وكانت النتائج الاجتماعية لهذه الهجرة سيئة جدا (٢١) حيث اكتضت مدن بغداد والبصرة وغيرها من مدن العراق الاخرى بالعاطلين من مهاجري الهور الفقراء الذين هربوا من ظلم الاقطاع المتفشي في تلك الفترة. لقد كان حكم الشيوخ من الاقطاعيين قاسيا بل ومهينا لدرجة انه كان هناك سجون مرعبة مملوءة بالحشرات والقمامة يلقي فيها الشيوخ خصومهم من الفلاحيين الفقراء ويسقونهم فيها سوء العذاب. حيث ذكر انه كان لاحد شيوخ العمارة اكثر من ٥٠٠ حوشي كانوا يمثلون بطانته التي تحميه وتنفذ اوامره وقد بلغت المخصصات السنوية لاولئك الحوشية مايقارب (٣٨) الف دينار وهو مبلغ هائل تلك الايام (٢٢)

وبعد عام ١٩٣١ حدثت حالة من البطالة وصعوبة ايجاد عمل لهذا العدد الضخم من المهاجرين إلى المدن توقفت الهجرة تلقائيا الا انها وفي بداية خمسينيات القرن العشرين ونتيجة للفيضانات المتكررة وضغط الشيوخ وعشق اهل الهور للهجرة عاود الكثير من السكان إلى بغداد والمدن المجاورة بل وحتى إلى الدول المجاورة كالكويت وايران واستقر معظم المهاجرين إلى بغداد في احيائها الشرقية والتي عرفت بمدينة الثورة وقد ساهم في استقرارهم هذا قرار التمليك للدور السكنية الصرائف التي يملكوها والذي اصدرته الحكومة في عهد الزعيم عبد الكريم قاسم. فيما استقر جزء اخر من اهل الهور في احياء الشعلة وابو سيفين والطوبجي. لقد ادت هذه الهجرات إلى اختفاء قرى كاملة من خريطة الهور والغيت اسلاف وفرغت ايشن عديدة في المقابل استحدثت في المدن احياء وحارات و محلات وتجمعات وتسميات عديدة

تركيب سكان الاهوار

تركيب السكان هو توزيع وتقسيم السكان على كل من النوع والعمر واللغة والدين والحالة الزوجية والحالة التعليمية والاقتصادية وسنركز في بحثنا هذا على دراسة كل من التركيب الديني والقبلي والاقتصادي للسكان وذلك لاهميتها في توضيح شخصية الاقليم الديموغرافية

١- التركيب الديني

بالرغم من ان السكان يختلفون حسب عقائدهم الدينية فان التركيب الديني قد لا تسجله بعض التعدادات السكانية وذلك لصعوبة الحصول على بياناته بدقة اذا ما قورنت بالخصائص السكانية الاخرى كما انه من الصعب للغاية قياس المعتقدات الدينية والسلوك قياسا احصائيا عن طريق جمع بيانات عنها (٢٣) وفي بلاد النهرين تعايشت ومنذ القدم اديان ومذاهب عدة . فمعظم المدن الكبيرة مختلفة الاديان والمذاهب وفي الاهوار سكنت منذ القدم ديانات عديدة تذكر منها :-

أ- الاسلام

يدين غالبية سكان الاهوار بالديانة الاسلامية وقد عانوا مثل غيرهم من سكان العراق من الالهال والتتكيل الثقافي والديني . طيلة القرون الماضية الامر الذي ادى الى ان يعيشوا حالة من الجهل والامية والفقر والمرض . وعلى الرغم من هذا الالهال الذي عانو منه الا ان الاصاله المتجذرة فيهم والفضة السليمة وايمانهم بدينهم ساهم في بقائهم ووجودهم واغلبية سكان الهور مسلمين يمتدبون بالمذهب الجعفري الذي لا يختلف عن المذاهب الاسلامية الاخرى من حيث التوحيد والميعاد والنبوه وللجغرافية مراسيمهم الخاصة (٢٤)

حيث يعتقدون بالانمه الاثنى عشر المعصومين ويعتقدون بظهور الامام المهدي والذي يظهر اخر الزمان ليملأ الارض قسطا وعدلا بعد ان ملات ظلما وجورا . كما انهم يتميزون بتقليدهم الفقهي والديني لمراجعهم الدينيين . اما المسلمين من السنة فهم ينتشرون في الاهوار الغربية . وقراها ومدنها مثل سوق الشيوخ وكرمة بني سعيد واغلبهم يرجعون الى عائلة (ال سعدون) كما يتواجدون بنسب ضئيلة في اهوار العمارة والبصرة وفي قضاء المدينة ومسلمي الاهوار سنة وشيعة مفتحين على بعضهم البعض ومندمجين الامر الذي جعل مسالة الزواج المتبادل والمصاهرة امر شائع بكثرة

ب- الصابنة :

وهم الصابنة المندائيون وهم يتكلمون اللغة المندائية وهي من اللغات الارامية وهم طقوسهم الاغتسال والوضوء بالماء فهم يعتقدون بان الماء هو العنصر الذي يعطي الحياة للجسم والروح لهذا فهم يغتسلون بقدر ما يستطيعون وفي اوقات مختلفة كما انهم يمارسون التعميد كل يوم احد او عندما يتعرضون الى النجاسة ويبلغ عدد الصابنة قرابة الثمانية عشر الف ويسكنون الاهوار منتشرين في قرى الاهوار على شكل بيوت عوائل ويقطن قضاء الجبايش حوالي (١٢٠) اسرة من هذه الديانة بينما يسكن في سوق الشيوخ حوالي ١٣٥ عائلة وما زالوا لحد الان يتحدثون بالمندائية ويعتقد بعض المؤرخين ان منشاء الصابنة في فلسطين حيث اقيمت طقوسهم على ضفاف نهر الاردن حيث قام مرشدهم يحيى بن زكريا بالتعميد كما تشير الى ذلك كتبهم الدينية ككتاب (كتراريا) وكتاب (هرام كوشة) وكتاب (ادراسة هيا وقد تعرض الصابنة الى مجازر عديدة من قبل اليهود الامر الذي دفعهم للهجرة الى مناطق مختلفة ووصل قسم منهم الى جنوب العراق واستقروا في اهواره حيث عملوا قديما بالحدادة وصياغة الفضة وبناء الزوارق وصناعة المناجل وادوات الحفر اما في الوقت الحاضر فمهنهم صياغة الذهب ومنهم تجار معروفين ويتميزون بلحاهم الطويلة حيث توجد اعداد منهم ايضا في بغداد والبصرة والعمارة ويقال ان دينهم قريب من المانوية كما يدعي بعض منهم بانتمائه للنصارى حيث يعرفون انفسهم بانهم من اتباع القديس يوحنا المعمدان والصابنة ورد ذكرهم في القران الكريم ثلاث مرات مع اليهود والنصارى وهم غير الصابنة الوثنيون الذين عاشوا في جنوب الجزيرة الاسلامية قبل الاسلام (٢٥)

ج- اليهودية

واليهودية ديانة سماوية يتكلم ابناؤها اللغة العبرية ولهم كتاب مقدس وهو التوراة واستوطن اليهود العراق منذ القدم عندما جاءوا اسرى في السبيين البابليين الاول والثاني وتركوا في مدينة بابل قبل انتشارهم في ارجاء العراق المختلفة وسكن البعض منهم جنوب العراق حيث كانوا يتركزون في قضاء العزيز التابع لمحافظة ميسان وفي خمسينات القرن العشرين هاجروا الى اسرائيل وبعض الدول الاوربية وقد كان اليهود يفضلون السكنى بالقرب من الاهوار حيث بنوا بيوتهم قرب ضفافها بنسب كبيرة خاصة في اقضية ونواحي ميسان وحتى بعد مغادرة اليهود الى فلسطين والدول الاوربية حافظ الكثير منهم على تقليد زيارة مقام النبي العزيز والموجود قبره في قضاء العزيز في محافظة ميسان حيث تتميز قبة هذا الضريح بلونها الازرق ولا زالت الكتابات والاسماء المنقوشة باللغة العبرية مثبتة على جدران وسقوف الضريح واليهود عند مغادتهم العراق الى فلسطين وبخاصة يهود الجنوب استوطنوا مخيمات عدة اسموها (اور يهودا) ومعناها يهود اور وهي دلالة على تمسكهم بحضارة العراق وبمرور الوقت توسعت هذه المخيمات لتشكل مدينة تحمل نفس الاسم تقع في وسط الطريق بين مطار بن غوريون وتل ابيب وهذه المدينة لازال سكانها يحتفزون بعادات وتقاليد ولغة المجتمع العراقي لايل واقاموا في هذه المدينة مركزا لحفظ التراث اليهودي العراقي وما زال لحد الان يغلب طابع الحزن حتى على اغانيهم وهو ما يدل على عمق ارتباطهم بالاهوار وبالعراق موطنهم الاول

التركيب الاقتصادي للسكان

تعد انماط التركيب الاقتصادي مكملة في دراستها للتركيب العمري والنوعي ويقصد بانماط التركيب الاقتصادي للسكان تقسيمهم الى فئاتها الثلاث الرئيسية وهي النشاط الاقتصادي والمهنة والحالة العملية ويعرف النشاط الاقتصادي بانه الحال الذي يعمل به الفرد او النشاط الذي يمارسه في المؤسسة او المشروع (٢٦)

وقد حددت الامم المتحدة انواع النشاط الاقتصادي الى عشرة مجموعات كبرى للنشاط ويشغل سكان الاهوار في معظمهم في النشاطات الاولية التي تشمل الزراعة والغابات وصيد البر والبحر وقليل منهم يشتغلون في مجموعة الانشطة الثانوية في صناعات يدوية ويمكن تقسيم سكان الهور على اساس نشاطهم الاقتصادي الى خمسة اقسام :-

١- رعاة الجاموس

حيث يكثر رعاة ومربوا الجاموس Buffalo- Breeders في منطقة الاهوار خاصة في هور الحويزة واهوار الغراف السفلي واهوار قلعة صالح والجاموس حيوان ضخم ذا انتاجية عالية من الحليب والسمن الحيواني ويغرس الجاموس كامل جسمه في المياه حيث نادرا ما يغادرها الا في الليل حيث تنخفض درجة الحرارة ويتغذى الجاموس على القصب حيث يستهلك الراس الواحد من الجاموس ما يقارب ٢٥٠ كلغم من القصب يوميا . كما يتغذى ايضا على ما يعرف (بالسحالة) وهو قشور الرز والبوه (سيقان نبات الرز المحصوده) ويرجع اغلب المؤرخين الى ان اول من استورد الجاموس من بلاد الهند هم العنصر التركماني (٢٧)

كما ان بني مزيد الذين استوطنوا الهور بعد سقوط الحلة عاصمتهم . استاقوا معهم الجاموس الذي نهبوه قبل ذلك من هور عركوف (١٨)

وتتحد معظم المجاميع والعوائل المالكة للجاموس في الاهوار الى قبائل البو محمد والنواشي وعكيل والسويحات والعميرة وهم يتنقلون بشكل دائم بين اهوار كرمة علي والجبايش وسوق الشيوخ ويعتمد المعدان اقتصاديا بشكل كبير على الجاموس حيث ان قيمة الجاموس تكمن في منتجات (اللبن والحليب ومشتقاته) حيث تباع منتجاتهم في المدن والقرى المجاورة . وتقدر وزارة الزراعة العراقية بمعدل ملكية العائلة الواحدة في اهوار العراق ما بين ٤-٦ راس جاموس (٢٩)

٢- صيادوا الطيور والاسماك

ليس هناك اغنى من الاهوار بالاسماك والطيور حيث ينشط السكان في فصلي الربيع والشتاء بصيد السمك مستخدمين وسائل متعددة كالشباك (المنسوجة من النايلون او القطن) والفالة الحديدية (٣٠) والسموم المختلفة (٣١) والمتفجرات ويطلق سكان الاهوار على صائدي السمك هناك اسم (البرابرة) تقريبا من شأنهم لان الاعراف الاجتماعية عند اهل الهور تحقر العاملين بصيد السمك ولعل تسمية الصيادون بهذة التسمية تعود الى ان اغلب الصيادين هم من السكان ذوي الاصول الزنجية كما يظهر ذلك في عشيرة بيت شذير ذات الاصل الزنجي ويقل صيد الاسماك في فصل الصيف لان الاسماك تستظل تحت النباتات المائية نهارا اتقاء لحرارة الشمس وتظهر ليلا عند انخفاض الحرارة وتنتشر في اهوار العراق انواع عديدة من الاسماك مثل البني والحمرى والشك والكطان والصبور ولا زالت عملية صيد الاسماك في مناطق الاهوار تعاني من بدائيتها اذ تتم عملية نقل الاسماك في زوارق بدائية يجمع فيها السمك ليتم تثلجة بقالب الثلج لينقل بعدها الى المدن لتوزيعه على التجار ولا بد من توجه نحو تطوير الصيد في هذه المنطقة من خلال تنظيمه بشكل يحافظ على الانواع السمكية من التلاشي بفعل الصيد الجائر سواء من خلال منع استخدام المتفجرات والسموم او من خلال تحريم الصيد باستخدام الشباك ذات العيون الصغيرة وتحريمه في اوقات تبويض الاسماك وتكاثرها .

اما صيد الطيور فينشط في فصل الخريف على وجهة الخصوص وهو الموسم الذي تهجر فيه الطيور من روسيا واوربا الشرقية وبعض مناطق شمال اسيا باتجاه جنوب العراق وذلك لملائمة المناخ العراقي في هذا الفصل لاكمال دورة حياتها وتقصد هذه الطيور مناطق الاهوار لتوفر الطعام والمياه الكافية وغالبا ما يمارس صيادي الاسماك انفسهم هذه المهنة مستخدمين البنادق بمختلف انواعها بالإضافة الى استخدام الشباك والمواد السامة واهم الطيور التي يتم اصطيادها في مناطق الاهوار هي دويج الرز ودجاج الماء والبط الوحشي .

٣- جامعو القصب

ويستقر جامعو القصب reeclga therees في اهوار الجبايش ويمتد انتشارهم غربا حتى كرمة بني سعيد والقصب عادة ما ينبث في المياه الضحلة من الهور ويستخدم هذا النبات في بناء الاكواخ والمضاييف وصناعة الحصران (البواري) (٣٢) حيث يجمع القصب من الهور ويدق ويحاك على هيئة حصران ويباع في المناطق والمدن المجاورة ويفدر انتاج الاهوار السنوي من الحصران بحوالي المليونين والنصف حصيرة وتزن الحصيرة الواحدة ٦ - ١٥ كيلو غرام . وللحصران سوق رائجة في كثير من المدن المجاورة حيث يشتد الطلب عليها في بعض المواسم ففي عام ١٩٥٣ مثلا . بيعت كميات كبيرة من الحصران حيث ارتفع سعرها فوصل سعر الحصيرة الى ٣٠ دينار وهو سعر مرتفع وقتذاك وتصدر منطقة النوافل الواقعة شرق دجلة كميات كبيرة من الحصران حيث تصدر انتاجها خاصة الى محافظة البصرة عن طريق نهر دجلة . حيث يتم ربط الحصران على هيئة رزم يبلغ طول كل حزمة ٦٠ قدم وعلوها ١٢ قدم وتسمى (كاره) (تطلق في النهر فتسير منحدره مع تياره باتجاه البصرة (٣٣)) ويوفر القصب فرص عمل لكثير من سكان الاهوار على الرغم من انصراف الكثير منهم عن العمل في حرفة جمع القصب . منطلقين في ذلك من قلة مردوداته المادية من جهة والحافز المالي المتأتي من الدخل الذي توفره لهم حرفا اخرى في القطاعات الاقتصادية الخدمية من جهة اخرى (٣٤)

٤- صانعو القوارب

حيث يتم في معظم مناطق الاهوار صناعة المراكب والقوارب بانواع واشكال واحجام وتسميات مختلفة وتتركز صناعة القوارب في منطقتي والهوير والقرنة في اهور البصرة حيث تسيطر على صناعتها عوائل توارثت هذه الحرفة ابا عن جد فتفننوا في صناعتها مثل عائلة بيت ابو دروه وبيت الهيجل اضافة الى عوائل صابنية اخرى امتهنت هذه المهنة ولقد اطلق سكان الاهوار على المراكب النهرية تسميات مختلفة كالمطور والمشحوف (٣٥)

والطراد والبلم والجليكة وتتراوح حمولة هذه المراكب ما بين ١٠ الى ٥٠٠ كغم والمراكب النهرية وسائط لا يستغنى عنها سكان الاهوار حيث بدونها يصحون غير قادرين على اداء اعمالهم التي تتطلب الانتقال من قرية الى اخرى ومن مكان لآخر حيث يستخدمون المشاحيف لجمع القصب وصيد الاسماك كما يستخدم الشيوخ والموسرين الطرادات السريعة وذلك لسرعتها واستيعابها لاعداد اكثر من الركاب حيث يمكن ان يستوعب الطراد الواحد عشرة ركاب والمراكب النهرية لدى سكان الاهوار هي امتداد لمراكب السومرين القدماء حيث يوجد شبه كبير بينهما والمشاحيف المستخدمة حاليا تشبه الى حد كبير المشحوف الملكي المصنوع من الفضة الموجود في المتحف العراقي والذي تم العثور عليه في المقبرة الملكية في اور (٣٦)

٥- المزارعون

ويزرع سكان الاهوار الرز في الدرجة الاولى والذرة والشعير بالدرجة الثانية حيث تنتشر مزارعهم في اطراف هور الحويزة والاقسام الغربية من الناصرية و في سوق الشيوخ والعبيكة وكذلك يزرع في منطقة الهوير وتمتد زراعته من المنطقة الواقعة غرب القرنة وحتى قضاء الجبايش التي يمنع نمو القصب الكثيف فيها السكان من ممارسة الزراعة والزراعة في الاهوار متذبذبة حيث تقلصت في الخمسينيات من القرن الماضي بسبب زيادة مياه الفيضانات بينما انحسرت زراعة الرز والذرة والشعير بعد عمليات التجفيف في تسعينيات القرن العشرين ليحل محلها زراعة الطماطم والخضراوات . ويعبر نبات البردي من اهم معوقات زراعة الرز اذ تتطلب زراعة الرز ازالة نبات البردي وتسمى هذه العملية محليا باسم (الهراك) وهي عملية مكلفة ماديا جعلت الكثير من سكان الاهوار يعزفون عن زراعة الرز وتختص بعض العشائر بممارسة الزراعة في الاهوار منها قبائل ابو صالح وبني خيكان والحجام وبني اسد والسودان وال ازيرج

التركيب القبلي لسكان الاهوار

تعتبر القبيلة وحدة اجتماعية متجانسة غالبا مايكون افرادها من أب واحد ويتكلمون لهجة واحدة ويسكنون ارضا واحدة يعتبرونها ملكا خاصا بهم ولايسمحون لغيرهم من القبائل الاخرى ان يشغل ارضها الا باذن منهم (٣٧) ومن ناحية البناء الاجتماعي للقبائل في اهور العراق فانها لا تختلف عن اية قبيلة عربية فهي مكونة من عشائر وبطن وافخاذ ويراس القبيلة شيخ يمتاز بالحكمة والامانة والراي السديد . والخارطة القبلية لسكان الاهوار تاترت منذ حلال العثماني بعوامل عديد منها قدوم قبائل ومغادرة اخرى للاهوار وتفرع قبائل الى افخاذ جديدة ومسميات حديثة ويعتبر ابناء القبائل تقاليدها الموروثة وعاداتها قوانين يجب ان تفتد لذا كان لكل قبيلة سنتها ومساحتها الجغرافية التي تشغلها (٣٨) ولقد تمسكت عشائر الاهوار بالاعراف والتقاليد التي ورثتها للحفاظ على كيانها ووحدها ولتنظيم شؤون حياتها لقد كانت السواني (التسمية المحلية للاعراف والتقاليد) نظاما اجتماعيا وقانونيا واقتصاديا خاصا تظم السواني العشائرية قضايا الخطف والسرقة والقتل والاعتصاب ونكث اليمين وجميع القضايا المخلة بالاداب وقتل الحيوانات حيث كانت بمثابة قوانين واسس تعالج شؤون العشيرة وعلاقتها مع العشائر الاخرى وتسكن كل عشيرة منطقة خاصة بها . فمثلا ان القبائل الساكنة في اهور العمارة تشغل كل قبيلة مساحة جغرافية خاصة وعلى الشكل التالي :-

- ١- تشغل عشائر بني لام الأراضي الواقعة غرب نهر دجلة ابتداء من مدينة الكوت وحتى نهر المدلول . كذلك تسكن مناطق شرق دجلة ابتداء من مصب نهر العوادي الى صدر نهر المشرح وتشغل كامل المنطقة حتى الحدود الايرانية.
- ٢- تشغل قبيلة البودراج الجانب الايمن من نهر دجلة اعتبارا من نهر المدلول حتى صدر نهر البتيرة وتصل حتى صدر منطقة سيد احمد الرفاعي
- ٣- تشغل قبائل السواعد الجانب الايمن من نهر المشرح من نهر ام البطوط في الاهوار الفاصلة بين العراق وايران .
- ٤- وتسكن قبيلة السودان الاراضي الواقعة في الجانب الايسر من اراضي الكحلاء بدءا من نهر المعاون وحتى صدر نهر الحسينية وتتصل شرقا في هور (الجكة)
- ٥- عشيرة ابو محمد مستقره على جانبي نهر الكحلاء وتفرعاته اعتبارا من صدر نهر الحسجة وحتى الحدود الايرانية
- ٦- اما عشيرة ال ازيرج تشغل الاراضي الواقعة على جانبي نهر البتيرة من صدر نهر ابو فحل ونهر (ابو سبع) وتنتهي بالاهور
- ٧- جزيرة احمد الرفاعي تستوطنها عشيرتي المريان والبزون .
- ٨- تشغل عشيرة البهادل الاراضي الواقعة بين نهر دجلة والبتيرة
- ٩- تشكن قبائل بني سعيد هور العمومة
- ١٠- تسكن قبائل ال حسن اهور المجرة وغابات النخيل التي تقع شمالها .
- ١١- تسكن قبيلة ابو صالح المساحة المحيطة بهور ابوزرك والاهوار التي يكونها نهر ابو لحية

اما عشائر اهورار الناصرية فتتوزع على الشكل التالي:-

- ١- عشيرة بني اسد تستوطن اهورار الجبايش كذلك يمتد انتشارهم الى مركز قضاء الجبايش
- ٢- قبائل الغزي تسكن اطراف الناصرية ويمتد ابناءها حرفة الزراعة على حافات الاهورار وتتكون هذه القبائل من سبعة وعشرين عشيرة ستة عشر منها عشائر غزية خاصة واحدى عشر عشيرة انطوت تحت لوائها للاحتماء والمهابة
- ٣- عشيرة الفهود وتستوطن ناحية الفهود والمناطق المحيطة بها وهم يتفرعون الى عدة افخاذ وحماثل وفند •
- ٤- عشيرة النواشي وتسكن سوق الشيوخ الذي كان يسمى سابقا سوق النواشي •
- ٥- عشيرة خيكات وتستوطن ناحية الفهود كما يستوطنون حافات هور الحمار وما جاورها •
- ٦- عشيرة ال شميس ويستوطنون ضفاف نهر الكرمة في ناحية العكيكة •
- ٧- عشائر الاصلاح وتسكن ناحية الاصلاح •
- ٨- عشائر ال جدود وتسكن الناصرية وسوق الشيوخ والعكيكة •
- ٩- عشائر الحجام وتسكن اطراف سوق الشيوخ والمناطق المحاذية للاهورار
- ١٠- عشائر عبادة وتسكن ناحية الطار •
- ١١- عشائر الحسناوية وتسكن ناحية بني سعيد •

اما عشائر اهورار البصرة فتتوزع بالشكل التالي :

- ١- عشيرة الامارة فيقطنون اهورار القرنة والهوير والمدينة •
- ٢- عشيرة البطاط يسكنون القرنة واطراف اهورار البصرة الجنوبية •
- ٣- المياح ويسكنون القرنة والعزير والهارثة وهم خمسة عشر فخذا •
- ٤- عشائر بني حميم ويسكنون المناطق المحاذية لجنوب الاهورار في قضاء القرنة
- ٥- قبائل الحجاج ويسكنون الهوير واهوار المدنية •
- ٦- عشيرة العيدان ويسكنون القرنة •

ان هذا التقسيم لايعني عدم وجود تداخل بين تلك القبائل وابناؤها او انها قبائل خالصة دون تحالفات بل يوجد مع كل قبيلة مجاميع من القبائل والاسر التي تربطها تحالفات او مصاهرات او اتحادات (الكتبية)

النتائج

١-تتبين من خلال الدلائل التاريخية ان سكان الاهورار في اغلبهم ذوي اصول عربية وان ثقافتهم العربية استطاعت استيعاب وصهر الاقليات القومية الاخرى التي هاجرت الى الاهورار خلال المراحل التاريخية المتباعدة كما انه لاداعي للتحسس من ربط البعض ما بين سكان الاهورار وسكان بعض دول الجوار كون سكان الاهورار يرتبطون ومنذ القدم بعلاقات تاريخية وعلاقات مصاهرة مع العشائر الايرانية من الشرق والبيدوية في الغرب هذا بالاضافة الى كون المناطق المجاورة للهور من جهة ايران هي مناطق عربية تسكنها اغلبية من العشائر العربية •

٢- ان طبيعة النشاط الاقتصادي الذي يمارسه سكان الاهورار يدخل ضمن ما يسمى باقتصاد الكفاف Econmic Subsistence والذي بالكاد يوفر المعيشة اليومية للسكان •

٣-ان مجتمع الاهورار يحكمه العرف والعادات العشائرية التي مازالت تلعب دورا فاعلا في حل نزاعات الافراد والعشائر •

٤- ان الموازنة السكانية في مناطق الاهورار مازالت متخلخلة اذ ان كثير من العوائل التي هاجرة الى المدن المجاورة لم تعد لحد الان او انها متردد في العودة •

٥- ان غالبية سكان الاهورار هم من المسلمين الشيعة يتالفون مع الاقليات الدينية والمذهبية الاخرى في علاقة متحضرة يسودها الاحترام والتواصل الاجتماعي •

التوصيات

- ١- يجب عمل دراسات لمنطقة الاهورار لدراستها بشكل كامل وشامل من خلال لجان مشتركة من المحافظات التي تقع فيها الاهورار (البصرة وذي قار وميسان) ومن الوزارات المختلفة ومديرياتها في هذه المحافظات تشترك فيها الجامعات المحلية لغرض تقييم وضع سكان الاهورار وايجاد الحلول المناسبة لمشاكلهم •
- ٢- رفع الوعي الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والبيئي لسكان الاهورار

- ٣- دراسة تآثر مناطق الاهوار بمواسم الجفاف والفيضانات وتأثير ذلك على نشاط السكان الاقتصادي .
- ٤- بناء السدود التي تنظم تدفق المياه الى الاهوار بصورة متوازنة طيلة اشهر العام .
- ٥- حفر القنوات المائية داخل الاهوار وربطها بنهري دجلة والفرات لغرض تطوير النقل النهري لتمكين المراكب النهريّة من التوغّل في الاهوار .
- ٦- مكافحة الامراض التي تنتشر في مناطق الاهوار ومكافحة الحشرات الناقلة لها والتي تؤثر على صحة الانسان والحيوان على حد سواء .
- ٧- تشجيع عودة السكان المهاجرين والمهجرين الى مناطق سكنهم الاصلية داخل الاهوار والعمل على قيام هجرة عكسية من خلال توفير مرافق الحياة الضرورية كالسكن الملائم والمدارس والمستشفيات والمراكز البيطرية .
- ٨- تنمية المنطقة سياحياً لتوفير المزيد من فرص العمل للسكان وتنويع اقتصاد المنطقة من خلال بناء الفنادق السياحية وابرار الالهية السياحية للمنطقة من خلال حملات دعائية تتم في الداخل والخارج

الهوامش والمصادر

- (١) مجموعة باحثين - تاريخ العراق قديمه وحديثه - شركة الوفاق للطباعة بغداد ١٩٩٩ ص ٣٤- ٣٧
- (٢) البطائح جمع بطحة بفتح الباء وكسر الطاء والبيطحة ميل واسع ومجتمع مياه سائبة . انظر علي الشرقي - العرب والعراق - ط١ بغداد ١٩٦٣ ص ١٤٩
- (٣) محمد رشيد الفيل . الصحيين . مجلة المجمع العلمي العراقي- مجلد ١٦ - ١٩٦٨ ص٢٦٩
- (٤) المصدر نفسه ص ٢٧٠
- (٥) شاكر مصطفى سليم - الجبايش - مكتبة البيان بغداد ١٩٥٦ ص٢٧
- (٦) فوزي رشيد الفكر عبر التاريخ ط١ .سينا للشعر .القاهرة .١٩٩٥ ص٣٣-٣٤
- (٧) الموسوعة الذهبية رقم (٧)أورد كاجينال .أول مصلح في التاريخ .بغداد ١٩٩٧ ص٣٤-٣٧
- (٨) الموسوعة الذهبية رقم ٣ مصدر سابق ص ٣١-٣٦
- (٩) المصدر نفسه ص٣٥
- (١٠) فوزي رشيد مصدر سابق ص١٣
- (١١) ملحمة جلجامش ترجمة الدكتور طه باقر بغداد- ١٩٥٣ ص ٤٥
- (١٢) فريد خوشناو - الاكراد سكان الجبال - مطبعة كولان السليمانية ٢٠٠٦ ص١١٥
- (١٣) جمال جوده - العرب والارض في العراق- دار المعارف - القاهرة ب - ت - ص٥٩
- (١٤) عقيل عبدالحسين .ميسان وعشائرها قديما وحديثا . مطبعة الحافظ . بغداد . ١٩٩٢ ص٩٦
- (١٥) البلاذري -فتوح البلدان - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - أماكن متعددة
- (١٦) عبد الأمير أرفيبي - العراق- دار الحكمة . ص ٢١٠-٢١٢
- (١٧) ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ص ١٤٨
- (١٨) عباس العزاوي - العراق بين الاحتلالين - ج ١ - مطبعة بغداد - ١٩٣٥ - ص٥٤١
- (١٩) ابن بطوطة- تحفة النظار في غرائب عجائب الاسفار - ج ١ - المكتبة التجارية - القاهرة - القاهرة - ص١٨٣٨-١٣
- (٢٠) شاكر مصطفى سليم - مصدر سابق - ص ٣٤
- (٢١) المصدر نفسه - ص ٣٩
- (٢٢) نسرين كاظم - الاهوار تعود من جديد - جريدة الصباح البغدادية العدد ٤٣٠ في ٢٠٠٤/٥/٣٠ ص١٢
- (٢٣) فتحى محمد ابو عيانه / دراسات في علم السكان - المنطقة العربية -بيروت ١٩٨٥ ص٢٥٧
- (٢٤) مهدي الحسنوي الاهوار حضارة سومر جنائن الماضي - سحر الحاضر - دار الشؤون الثقافية - بغداد ٢٠٠٤ ص٣٤
- (٢٥) ولفر اثسيكر - المعدان او سكان الاهوار - ترجمة باقر الدجيلي - مطبعة الرابطة - بغداد ١٩٥٦ - ص٣٣
- (٢٦) احمد علي اسماعيل . اسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية . القاهرة . ١٩٩٧ ص٢٣٦
- (٢٧) محمد باقر الجلالى - موجز تاريخ العمارة - ط ١ - مطبعة النجاح بغداد -بت - ص٦٢
- (٢٨) بدري محمد فهد- العامة في بغداد في القرن الخماس الهجري - مطبعة الارشاد -بغداد- ١٩٦٧ - ص٩٣
- (٢٩) وزارة الزراعة - حقائق وارقام عن الثروة الحيوانية - بغداد - ١٩٨٦ ص ٥٥
- (٣٠) الفالاة حديدية تستخدم في صيد السمك تتكون من خمسة رؤوس مديبة مركبة على عصا من الخيزران طولها حوالي عشرة اقدام

- (٣١) اعتاد سكان الاهوار من الصيادين على استخدام انواع من السموم لصيد الاسماك واكثر هذه الانواع شيوعا هو اقراص الزهر المصنوع من خليط من الدقيق وذروق الطيور ينثره في الماء او يضعونه في الروبيان الذي تتغذى عليه انواع كثيرة من الاسماك .
- (٣٢) البواري - جمع بارية . وهو نوع من انواع الفرش المصنوع من القصب والبردي ويستخدم على نطاق واسع في تآثيث البيوت جنوب العراق ولا يقتصر استخدامه على سكان الاهوار بل يتعداه الى المدن والقصبات المجاورة
- (٣٣) ولفر اثسيكر - مصدر سابق - ص ٣٢- ٣٣
- (٣٤) عباس العزاوي القصب في صناعة الورق - مجلة عالم الاقتصاد - العدد الرابع - ١٩٦٨ - بغداد ص ٥٣
- (٣٥) المشحوف وجمعه مشاحيف يصنع من الواح خشبية ومن قطع خشبية محفورة مستوية في الوسط ومنحنية في الاطراف تطلي من الخارج بالقار ومقدمة المشحوف مدببه ومرتفعة ليكون المشحوف قادرا على شق طريقة في الماء وسط القصب والبردي
- (٣٦) عامر عمر سلام - الاساطير السومرية في بلاد الرافدين (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة ام درمان الاسلامية - الخرطوم - ٢٠٠٥ - ص ١٢٠
- (٣٧) سلمان اسعد شجاع- القبائل العربية وامتداداتها - مكتبة الاسد - دمشق ٢٠٠٦ - ص ٩٦
- (٣٨) الحاج راكان . عرب الاهوار . بدون سنة وجهة طبع ص ٢٨